بين فتـــاتين

فصل من رواية لم تنشر

للأستاذ ابراهيم عبد القادر المازنى

أفاقت « خيرية » — فى غرفتها — على صدر « سارة » ، أو لعل الأصح والأقرب إلى الصواب أن نقول إنها استعادت سكينة نفسها فيا ترى العين ، بعد أن أسبلت ملء حفنة من الدموع روت بها زهور خديها النضيرين ، وأصارت أرنبة أنفها كالجزرة . وفى قليل من البكاء شفاء للصدر وجلاء للبصر ، وغنى عن المساحيق !

وأحست « سارة » بانتظام أنفاسها فضمتها إليها فى رفق وحنان ، لجاوبتها « خيرية » بضغطة خفيفة . وطاف برأسها وهى تفعل ذلك أن لو كان هـذا صدر شاكر ! ؟ ! وتنهدت كالمتحسرة ، وذهبت تتصور ساعديه القويين على خصرها يهصرانه ، وثدييها يُعْصران على ثندوتيهما [1] ، وأنفاسه على شعرها ، وكلامه العذب فى أذنها . فأخذها من هذا الخاطر مثل الدوران فى رأسها ، وأظلمت عيناها ، وشعرت بمثل النار تندلع فى أحشائها وترقى إلى صدرها ونحرها وتأخذ بكظمها ، على حين كانت تحس بالبرد فى قدميها .

وشدت « سارة » على خصرها فى هـــذه اللحظة الحافلة بالاحتمالات ، فرفعت « خيرية » وجهها المضطرم ونظرت إلى صاحبتها بعين ثابتة الحلاق إلا أن عليها كالضباب فهى لا تبصر ، وأقبلت على فمها تقبله — قبلة حارة طويلة عصرت فيها روحها ونسيت نفسها ، وإذا « بسارة » تهتز وتنتفض وترسل راحتها تتحسس علواً وسفلاً ، و « خيرية » كالسكرى : تضم ، وتئن ، وتبوس ، وتمسح الخد بالخد ، وعينها مغمضة ، وأصابع يمناها تتقبض على لحم « سارة » والأخرى تعبث بشعرها وتتخلله وتشده ، وهما فى عناقهما تميلان يمنة ويسرة ، وتقبلان إلى الأمام تارة ، وتنثنيان إلى الخلف طوراً ، وترجف كل منهما إلى صاحبتها كأن بينهما متسعاً فتزحزحان على الطارقة [1] حتى تهاوتا فتحاجزتا ، وصار صدراهما كالخضم المضطرب .

وقالت « سارة » بصوت يذوب من الرقة :

« أحسن ؟ »

فذانت « خيرية » بين جفونها وألقت إلى صاحبتها — بمؤخر عينيها — نظرة فيها من الرضى والشكر والرجاء معان ، وكانت كلتاهما مضطجعة ، فمدت « سارة » يدها وتناولت راحة « خيرية » وأطبقت عليها أصابعها — فى صمت — وظلتا هكذا برهة ، ثم شخصت « سارة » إلى السقف وقالت كأنما ترى من تخاطبه فيه

« ليتك كنت أخاك ! »

ثم ثنت إلى « خيرية » وجهاً ينضح بالبشر ويغرى بالعبث والمصارحة ، فرفعت « خيرية » حاجبيها وأمالت رأسها على الوسادة ثم ردت وجهها إلى سارة وقالت :

إنك سعيدة ياسارة . . . »

فسألتها « سارة » :

« وأنت ؟ . . »

قالت خيرية « موزعة . . »

(١) الثندوة مغرز الثدى وما حوله من لحم الصدر .

(١) الطارقة السرير الضيق وقد اخترتها للكنبة .

ماذا يجب فى عمل الملهاة : إن الغرض الذى يتوخاه واضعو القواعد للعمل الروائى هو التقريب بين الافتراض والحقيقة . وأقوى الوسائل إلى هذا التقريب هى قاعدة الامكانية . ولما كان عمل الملهاة منتزعاً من العادات المألوفة ، والأخلاق المعروفة ، والنكتة الحاضرة ، كان بعده عن الحقيقة ، ومخالفته للواقع أمراً سهل الملاحظة صعب الاحتمال . لذلك وجب أن تراعى القواعد فى الملهاة مراعاة شديدة ، وعلى الأخص وحدة العمل ، واستمرار الخلق ، وسهولة الأسلوب ، وبساطة التعقيد ، وطبيعة الحوار ، وصدق العاطفة . وقوة الفن فى إخفاء الفن ، بحيث يكون كل ما يحدث ويقال على المسرح صورة ساذجة للمجتمع حتى ينسى الشاهد أنه فى مشهد من مشاهد التمثيل ، لأن الصورة إذا رسمتها يد عاجزة اتجه فكرك فيها بعد النظرة الأولى إلى الرقعة والألوان والأطار . قبل أن يتجه إلى التدور والنتوء والبعد .

يتبع (الزيات)

— بوزعة ؟

— نعم ! ... وعسى أن أكون واهمة ... ولكنه يخيل إليّ أحياناً أني أحب « عبده » وهو لا شك يحبني ... على طريقته ... حباً صامتاً ... أخرس ... يحيرني ... أعني ياسارة انه يحرك نفسي لحظة ثم يدعها فارغة لا أثر فيها له ... ليس عنده كلام يقوله ... ينظر إليّ كأنه يشتهي أن يأكلني بعظامي ... فهو يخيفني ويفزعني ، ويسحرني أيضاً ويجذبني حين يفتح عليّ عينه بهذه النظرة المنهومة ، ولكنه يخيفني أكثر مما يسحرني ... آه لو كان ينطق ... ! ولكنه لا يعرف الكلام ... ولا المغازلة .

... جسمه ضخم ولسانه أبكم ... فهو قوة مرعبة ... لو كان يرق فينتفي الخوف !

... لو كان يشعرني أن الحب يلينه أو يذيبه قليلاً ! ؟ ... ولكنه ليس مثل ... »

وأمسكت ، ونزعت يدها من يد سارة ، وظلتا مفترقتين برهة وهما تفكران في الغزل ! « خيرية » في بكم عبده وفي خلو حبه من هذا العنصر الذي يلطف الوقدة ، ويخفف الحدة ، ويسلب العاطفة المشبوبة لذعها وكيها ، ويجعل الحديث أحلى من التقبيل والعناق . أما « سارة » فقد فتح لها كلام « خيرية » باباً جديداً من التفكير أعانتها دراستها العلمية على ولوجه ، فراحت تقول لنفسها إن الغزل ليس عبثاً ولا تكلفاً ، وإن الرقة فيه واجبة وليست ضعفاً ، وإن الطبيعة لا تزال تطلب التوازن وتسعى له وتحدثه ، فلولا رقة الرجل القوي ، في غزله ، لأرعب المرأة حبُّه ولما احتملته ، وهو حين يجثو أمامها ويريح خده على ساقها ، أو يناجيها بهواه ويشكو إليها ضعفه عن احتماله ، ويصف لها ضيق صدره بما يجن ، وقلبه بما يجد ، ويتذلل لها ويتوسل اليها ، انما يفعل ذلك بغريزته ليعتدل الميزان ، فيذهب عن المرأة الخوفُ من قوته ، وتشعر أن فيه موضع ضعف تستطيع أن تستغله وتقاوم به طغيان القوة ، وعلى قدر ما يبدي الرجل من الرقة في موقف الغزل والمناجاة تحس المرأة أنها قوية وأنها كفء له ، فتطمئن وتعتقد أنها نده ، وإن كان في ظاهره أقوى ، وتبادله حباً بحب غير مكرهة ولا محمولة على ذلك ، ولا شاعرة بتفريط في كرامتها أو تضييع لشخصيتها أو محو لارادتها . .

ولم يشعرا أن الصمت طال بينهما أو أن الحديث انقطع لما قالت « سارة » بعد ذلك :

« ولكنك تحبينه . . ! لا شك في ذلك » .

فقالت « خيرية » بلهجة المفكر لا المستفسر .

« هذا ظنك ؟ »

قالت « سارة » :

« لقد كنت تفكرين فيه ونحن متعانقتان »

فاعتدلت « خيرية » في جلستها ، وواجهت « سارة » وقالت بلهجة حازمة :

« كلا . . أبداً »

فوضعت سارة يدها على كتف صاحبتها وقالت :

« تعالي . . تعالي . . اطرحي عن صدرك هذا العبء . . . لماذا لا تبادليني حبي ؟ »

فسألتها خيرية وهي تضحك :

« أتحبينني ؟ »

« أتسألين ؟ »

« أعني كعادة ؟ »

« لا أزعم ذلك ولكني أحببتك »

« من أجله ؟ لأني أخته ؟ »

« لذاتك »

« صحيح ؟ »

« أتشكين ؟ »

« لا أشك . . ولكني غيره . . أعني أني فتاة مثلك »

« وما دخل هذا ؟ ماقيمته ؟ ألم نكن نتعانق على حب قبل دقائق ؟ قد يختلف الغرض من الحب أو نوع الاحساس به ولكنه يظل حباً »

« سارة ! »

« نعم »

« لا أدري كيف أقول . . إني لم أعرف من هو إلا الليلة »

ودفنت وجهها في راحتيها فصاحت بها « سارة »

« أهو ذاك ؟ »

فرفعت « خيرية » رأسها كأنما تتحدى الدنيا والناس وقالت

وهي تسوى شعرها وترد عن جبينها خصله

« نعم . وقد عرفت الآن »

فقالت « سارة » باخلاص :

« يا حبيبتي هذا أسعد يوم في حياتي . أنا لأخيك . وأنت لأخي »

فقالت « خيرية » وهي تكاد تبكي :

« كيف يمكن ؟ كيف يمكن ؟ إنه لم يرني قبل اليوم إلا مرة واحدة ! »

فسألتها « سارة » وهي تنظر اليها نظرة من يُحْيي ذكرى تمعن في الغمض :

« قبل اليوم ؟ أتعنين . . ؟ »

قالت « نعم كنت خارجة من سمعان فعثرت . . »

فصاحت بها سارة وقد صح ظنها :

« هو أنت ؟ »

« أهو أنا ؟ ماذا تعنين ؟ »

أعني أنك فتاته التي يحبها ويبحث عنها . . يا لسعادتي »

فتعلقت بها خيرية وأمطرتها وابلاً من الأسئلة ، وسارة تضحك ولا تعرف كيف تجيب ، وإذا بحمادة ينقر ويسأل قبل أن يسمع الاذن بالدخول

« سارة ! ما هذا الذي يقوله عبده ؟ »

فوثبت الفتاتان ووقفتا مبهوتتين من المفاجأة ، واحتاج حمادة أن يعيد سؤاله

« أهو صحيح ؟ »

فقالت « سارة » وهي تبتسم له وترف : « ماذا يا روحي ؟ »

فأذابته ابتسامتها وراح يتلعثم

... أ ... أ ...

فقالت سارة « تعال يا حبيبي ... أم نخرج ؟ ؟ أظنه آن لي أن أخرج . بكرهي يا روحي ... فتعال احملني الى سيارتك ... وفيها ... الى بيتي »

فنسي حمادة ما أفضى به اليه عبده ...

ابراهيم عبد القادر المازني

من الأدب الأندلسي :

٢ ـ التوابع والزوابع

بقلم محمد فهمي عبد اللطيف

دخل ابن شهيد وادي الجن ، ورغب في البدء بلقاء الشعراء على ما بيّنا في المقال السابق ، وقد حدّثنا الرجل أنه طلب من صاحبه زهير بن نمير أن يقدمه أول ما يقدمه إلى تابع امرىء القيس ، وإنما حق له هذا ، أولاً : لأن امرىء القيس سابق في عمر الزمن ، وحساب الأيام ؛ وثانياً : لأن النقاد جميعاً على أنه أمير الشعراء في العصر القديم ، وشيخهم الذي أوضح لهم الطريق ، فهو مقدم بالطبع والوضع كما يقول المناطقة ، ولم يرد ابن شهيد أن يخرج على ماقضت به الأيام ، وما تواضع عليه النقاد ، فأنزل الرجل منزلته المقررة ، ووضعه في مكانته المعلومة ، ولذا قدمه على نفسه في الأنشاد ، ووصفه بتطامح الطرف ، واهتزاز العطف ، علامة الغرور والثقة ، وأخذته الهيبة منه ، فهم بالحيصة والهرب من أجازته ، لولا أن شدّ في قوى نفسه ، وأنشده ما أنشد .

وعلى هذا النهج راح ابن شهيد يتحدث عن توابع الشعراء واحداً بعد واحد ، ويقرر ما وقع له معهم ، وما جرى بينه وبينهم من الأنشاد والمساجلة ، وهو في أثناء ذلك يعرض بالتصوير لأحوال الشعراء ، ويهتم بوصف نفسياتهم وميولهم ويشير إلى ما اشتهر عنهم في أخلاقهم وسلوكهم وآرائهم ، تارة بالتلميح ، وطوراً بالتصريح ، ومن حين لآخر تجده يجمل كلامه بالنادرة المستملحة ، فيجعل القارىء يقبل عليه في سرور وائتناس ، استمع اليه وهو يحكي ما وقع له مع « بغلة » من التوابع أقبلت تحكمه في شعرين لبغل وحمار اختلف فيهما الفريقان ، فقال لها حتى أسمع ، فقالت الشعر الأول لبغل من بغالنا وهو :

على كل صب من هواه دليل
سقام على جد الهوى وتحول
وما زال هذا الحب داء مبرحا
إذا ما اعترى بغلاً فليس يزول